

-٤٦-

وعلى العكس من ذلك تتمسك بعض الجامعات المحافظة فى مصر والبلاد العربية بدراسة بعض مطولات النحو «كالأشمونى» تحت شعار «التراث» أو «الكتب الأصيلة» وما أشبه ذلك .

والحق أن من يتمسكون بهذه الكتب تقصر بهم جهودهم عن الاحاطة بكل أبواب النحو للطلاب ، بل تقتصر هذه الجهود على بعض الأبواب التى يتجرعها الطلاب مرغمين، لاشتمالها على كثير من «نحو الصنعة» الذى سبق عرض مظاهره من قبل .

فالتطويل والاستطراد فى هذه الكتب يجعلها هدفا فى ذاتها ، وصنعة نحوية - لا أكثر - يحصرونها فى أدمغتهم ، ليؤدوا منها الامتحان ، ثم النجاة بجلودهم من هذا العناء الثقيل .

لكن هنا احتراز مهم عن كل ما ذكرت من «نحو الصنعة» وكتبه . فلست أدعو بذلك إلى ترك هذه المادة العلمية وكتبها ، فيمكن العودة إليها لاقتباس بعض نماذج منها للطلاب الشادين فى النحو ، كما يطالب بدراستها من رَقِيَتْ بهم رغبتهم أو همهم إلى التخصص فى الدراسات اللغوية من الأصوات والصرف والنحو .

ومن البديهي أنها مورد الأساتذة والمعلمين ، لاستقاء مادتهم العلمية منها ، لكن عند عرضها على الطلاب ينبغى تطويرها وتفسيرها وعرضها بوضوح وحيوية والوصول إليها عن طريق النصوص الصحيحة الجميلة ، والأمثلة ذات المضمون الراقى التى تحمل لغة العصر الذى نعيش فيه .

(٢)

«نحو اللغة» ما يحقق هذا الاسم، إنَّه المستخلص من اللغة الصحيحة الفصيحة، ويحقق حراسة هذه اللغة نطقا وقراءة وكتابة ، على أن يتناسب مستواه مع المستوى الجامعى المتخصص كما وكيفا ، فلا يقتصر منه على القشور السطحية ، فيكون شذرات من هنا ومن هناك، فأثم هذا النوع أكبر من نفعه ، وهو فى حقيقته «تدليل» لا «تيسير» وبالمقابل لا يتوغل فيه دارسه ومدرسه إلى حد التزام ما لايلزم وإلى تجاوز القدر الكافى المراد منه إلى المسالك الوعرة والمباني الواهنة المتداعية المجهدة .